العدد (1890) السنة الثامنة - الخميس (26) آب 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الكـردي العاقـل لا يفكـر بالانفصـال

رئيس الجمهورية لـ (المدى): ما زلنا نعمل بعقلية المعارضة في قيادة الدولة

لا ينكر أحد ارتفاع وتيرة القلق الذي تعيشه وأنت متجه صوب لقاء زعيم ولج عالم السياسة من أوسع أبوابه، وخبرة على امتداد ستة عقود ونصف نضالية من أجل وطن وأمة ومبادئ ضحى من أجلها بالغالي والنفيس وما يزال، على الرغم من تجاوزه العقد السبعين من العمر، يجود بحكمته وحنكته وصحته من أجل بناء دولة عراقية حديثة تعتمد احترام جميع مكونات شعبها كافلة بدستورها الجديد حقوق الجميع، ولكن مع حقك بالقلق المشروع وأنت تقابله تشعر كم محظوظ وأنت تقابل التواضع شخصياً، الطرفة التي لا تفارق لسانه، الحكمة المحبوكة بالمعلومة التي تحيلك الى موسوعة تاريخية، لم تأخذ منها العقود التي عاشها، وحوادثها، ثلمة ذكريات، دونها بالصبر والجهاد والموقف، في الجبل وهو حامل سلاح الجهاد، في عواصم المنفى وفي المعتقلات وما أكثرها، لعله آخر خلفاء السياسة في العراق وقد لا أكون مغالياً إذا ما قلت في الشرق الأوسط، أنه رئيس جمهورية العراق جلال طالباني الذي قابلته (المدى) في صفحة ضيف الخميس ليرفدها بأكثر من محور عن تأريخه السياسي الطويل منذ انغماسه في عالم السياسة وعمره لم يتجاوز الـ(١٤) عاماً، حتى تم انتخابه ليكون أول رئيس جمهورية كردي في تاريخ العراق المعاصر، مؤكداً لها بعد سرده للأحداث التي عاشها، ان أي كردي عاقل لا يفكر بالانفصال عن البلد، موضحاً ان ٩٠٪ من الشعب الكردي صوت لصالح الدستور الذي يؤكد ويكفل وحدة العراق. وبشأن المقترحات الـ(١٩) التي قدمها ائتلاف الكتل الكردستانية قال: أنها ليست بالورقة المقدسة وهي قابلة للتفاوض والتحاور بشأنها وفيما يلي نص الحوار:

حاوره: يوسف المحمداوي

■ من هو جلال طالباني؟

– أنا جلال الشيخ حسام الدين الطالباني ولدت في قرية كلكان الواقعة قرب سفح جبل كويسنجق القريبة من بحيرة دوكان، وذلك في ١٢/ تشرين الثاني/نوفمبر/١٩٣٣، انتقلت مع العائلة الى مدينة كويسنجق بعد ان أصبح والدي مرشداً للتكية الطالبانية في أواخر ثلاثينيات القرن الماضي.. دخلت المدرسة الابتدائية وكنت الأول في جميع مراحلها، وفي امتحانات البكالوريا كنت الأول على لواء أربيل وتميزي المبكر جعلني محط اهتمام المعلمين، خاصة وأني كنت شغوفاً بحفظ الأشعار وقراءتها أمام الطلبة أيام المناسبات فأصبح هاجسي الأول الاهتمام بالشعر وحفظه خاصة الأشعار الوطنية.. وأتذكر جيداً أني كنت أحفظ حتى الشعر العربي على الرغم من عدم فهمي لمعناه كوني في تلك الفترة لم أتعلم اللغة العربية، وبالذات أشعار الجواهري.

مدين لجريدة الأهالي.. والجواهري بتعلم العربية

■ لماذا الجواهري تحديداً؟

– اهتمامي بشعر الجواهري جاء عن طريق قصيدة ألقاها بأربعينية الزعيم الوطني المعروف جعفر أبو التمن، وكان فيها بيت شعري هو الذي جذب انتباهي إليه يقول فيه:

ذعر الجنوب فقيل كيد خوارج
وشكى الشمال فقيل صنع جواري

وحينها كنت مشتركاً في جريدة الأهالي من أجل تعلم اللغة العربية من خلال قراءة الأخبار فيها، في البداية كنت لا أفهم الكثير منها ولكن تدريجياً أصبحت أجيدها، لذا أقول أنا مدين بتعلم اللغة العربية لجريدة الأهالي وللجواهري، وكنت في حفظي للجواهري أسأل من يفهمونه عن بعض الأشعار التي لا أفهمها.

حزمة مناصب سياسية منذ الصغر

■ متى بدأت اهتماماتك السياسية؟

– دخلت عالم السياسة وانا في الابتدائية وبالتحديد عام ١٩٤٦ الذي كان بداية حركة القوى الكردية، تزامناً مع تأسيس جمهورية مهاباد الكردية في إيران، حيث كان العديد من الكرد العراقيين موجودين فيها، وبعد تأسيس الحزب الديمقراطي الكردي الذي أصبح الكردستاني فيما بعد، وذلك في ١٦/آب عام ١٩٤٧ انتميت إلى الحزب في العام نفسه.

وفي مدرستنا الابتدائية أسس أحد المعلمين جمعية طلابية سرية أسماها جمعية التقدم المعرفي واستطعنا ضم العديد من طلبة السادس الابتدائي في المدرستين الموجودتين في المنطقة الى تلك الجمعية، من هنا كانت البداية وعندما حدثت الانتفاضة والوثبة المجيدة عام ١٩٤٨ كنت في الصف الأول المتوسط، وفي العام نفسه جرت انتخابات تأسيس الاتحاد العام لطلبة العراق وكانت الانتخابات تجري في الثانويات والمعاهد والكليات، وتم انتخابي كممثل عن متوسطة كويسنجق للمؤتمر المذكور الذي عقد في كليتي الصيدلة والطبية، وتم تتويج هذا المؤتمر باجتماع في ساحة السباع ألقى فيه الجواهري قصيدته الرائعة (يوم الشهيد)، وهي المرة الأولى التي أرى فيها الجواهري، بعدها تم اختياري عضو لجنة محلية للحزب الديمقراطي الكردستاني في كويسنجق عام ١٩٤٩، وفي عام ١٩٥٠ أصبحت عضو لجنة فرع أربيل، انتقلت بعدها الى أربيل لإكمال دراستي الثانوية وذلك عام ١٩٥٠، وفي شباط عام ١٩٥١ عقد المؤتمر الثاني للحزب وانتخبت فيه عضواً للجنة المركزية وتنازلت عن المنصب لأحد الرفاق القادمين من السجن، وهو المحامي جليل خوشيار الذي خرج من المعتقل مع الأستاذ إبراهيم أحمد.

عدة اعتقالات

■ متى بدأت رحلة الاعتقالات؟

– بعد قيامنا بعدة نشاطات داخل الحزب، وكذلك بالنسبة للحركة الطلابية، ففي عام ١٩٥١ تم اعتقال مجموعة من أعضاء الحزب وكنت من ضمنهم، حيث تم نفينا الى الموصل وأمضينا فيها عدة شهور الى أن جاء قرار المحكمة الاستئنافية بالإفراج عن المجموعة.

انتقلت في عام ١٩٥٢ من أربيل الى كركوك لإكمال دراستي الثانوية هناك وأيضاً مارست عملي الحزبي وتم اعتقالي هناك وأفرج عني بعد فترة، وهناك حادثة أنا مدين فيها للمرحومين الأول الأستاذ كمال عمر الذي كان حينها حاكم تحقيق في كركوك، والثاني إحسان الطالباني شقيق الاستاذ مكرم الطالباني، هما اللذان أنقذاني من تهمة كبيرة ولولاهما لدخلت السجن متلبساً بالجرم، حيث كنت امتلك حينها مجموعة من النشرات الحزبية وكذلك جريدة الحزب، ولكن الأستاذ كمال عمر أخبر الأستاذ إحسان الطالباني بأمر مذكرة القبض عليّ فجاء المرحوم إحسان ونقل تلك المنشورات في سيارته الخاصة، وبعد تفتيش المنزل لم يجدوا شيئاً وتم إنقاذي من قبل المرحومين، وبعد إتمامي الدراسة الثانوية في كركوك عام ١٩٥٢ دخلت كلية الحقوق في بغداد.

عضو لجنة مركزية في الحزب

■ لكنك كنت ترغب في دخول كلية الطب.. لماذا رفض طلبك؟

– رفضوا دخولي كلية الطب بسبب عدم امتلاكي شهادة حسن السلوك، ومع دخولي الكلية وأجواءها الجديدة، تعرفت حينها على الأحزاب الموجودة في تلك الفترة، وأولها بالطبع الحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال، وكذلك حزب البعث، وكان في حينها حديث الظهور، وأصبحت أنا في تلك الفترة حلقة الوصل بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والأحزاب العراقية الأخرى، وكنت ضمن الطلبة الناشطين المرشحة أسماؤهم للاعتقال في كل مناسبة، وما أكثرها في ذلك الوقت، ففي عيد ولادة جلالة الملك نعتقل وفي عيد الجيش الأحمر وعيد العمال وفي نوروز كذلك، حيث يتم اعتقالنا ولحين انتهاء المناسبة بعدها يتم إطلاق سراحنا. في عام ١٩٥٣ انعقد المؤتمر الثالث للحزب وتم انتخابي عضواً للجنة المركزية فيه، وخلال المؤتمر وبمبادرة من المرحوم إبراهيم احمد تم تشكيل منظمات مهنية جديدة تابعة للحزب ومنها اتحاد طلبة كردستان، وبادرت أنا وبعض الإخوة في تشكيل ذلك الاتحاد.

■ هل شكل في بغداد أم في أربيل؟

– عقدنا أول مؤتمر في بغداد بصورة سرية داخل بيت المرحوم قادر كاكا زياد، وتم خلال ذلك المؤتمر انتخابي أميناً عاماً للاتحاد، وانتخاب الشهيد عبد الله أحمد رئيساً له، وهذا التشكيل ساهم في إصدار أول كراس سياسي لي تحت عنوان(اتحاد طلبة كردستان لماذا..؟)

سعينا لتوحيد الحركة الشيوعية في العراق

■ تقول أنك كنت حلقة الوصل ما بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والأحزاب العراقية، ماهي آفاق التعاون بينكم؟

– بعد أن تم انتخابي عضوا في المكتب السياسي عام ١٩٥٤، ساهمنا كحزب في جمع الأحزاب التي كانت تسمى بالأحزاب الشيوعية والماركسية، وهي الحزب الشيوعي العراقي القاعدة، الحزب الشيوعي العراقي الشغيلة، وحزب اتحاد الشيوعيين العراقيين الذي يترأسه المرحوم عزيز شريف، وحزبنا الذي كان حينها يتبنى الماركسية أيضا، وعقدت عدة اجتماعات بين العامين ٥٤-٥٥، وأغلب تلك الاجتماعات كان يعقد في بيوت تابعة لأعضاء من حزبنا، لأن بقية الأحزاب كانت متخاصمة فيما بينها، وتبلور عن تلك المساعي، انضمام اتحاد الشيوعيين العراقيين إلى الحزب الشيوعي العراقي، وتوحيد الآراء مستقبلاً ما بين القاعدة والشغيلة، وكانت هذه هي بداية توحيد الحركة الشيوعية في العراق.

■ لماذا لم ينضم حزبكم إلى ذلك التجمع؟

– الحزب رفض الانضمام، لأنه كان يؤكد ضرورة وجود حزب خاص بالشعب الكردي، له طبيعته وفكره النضالي الخاص.

خطبة ناظم حكمت

■ متى سافرت لأول مرة خارج العراق وما هي الأسباب؟

– عام ١٩٥٥ سافرت سراً بجواز سفر مزور إلى وارشو، لحضور مهرجان الشباب والطلبة هناك، وكنا وفداً مؤلفاً من ستة أشخاص، وكان الغرض من سفرنا هو التعريف بالقضية الكردية للوفود التي حضرت المهرجان، فطلبنا من منظمي المهرجان، أن يقبلونا كوفد مستقل في المؤتمر، لكنهم رفضوا ذلك وقبلونا كجزء من الوفد العراقي، وفي أحد أيام المهرجان كنا نريد أن نقدم الرقصة الكردية، ولكوننا (٦) أشخاص كنا نحتاج إلى شخص سابع لاستكمال حلقة الرقص، فتبرعت للرقص معنا الاخت المناضلة بشرى جليل برتو، وتعرفنا أيضاً على الشاعر العالمي الكبير ناظم حكمت من خلال اجتماعات لشبيبة أغلب بلدان العالم هناك، وفي أحد الاجتماعات ألقى الشاعر ناظم حكمت كلمة حماسية تأييداً للشعب الكردي ختمها بقوله: أرجو من الشباب الكرد حينما يرفعون علم كردستان أن يدعونني، لأكون شاهداً على هذه اللحظة التأريخية، وقد ساهمت تلك الخطبة فضلاً عن نشاط الوفد بكسب شبيبة البلدان الأخرى والإطلاع على القضية الكردية والتعاطف معها، وعلى اثرها وجهت لي دعوة مع وفد ضم عدداً من الشبيبة لزيارة الصين حيث بقيت فيها(٤٠) يوماً، بعدها عدت إلى العراق بصورة سرية، وبعد فترة تم اعتقالي لكن المحكمة أفرجت عني لعدم ثبوت الأدلة، لكني فصلت من الكلية لمدة سنة لتجاوز غياباتي المدة القانونية.

شقيق أحمد الجلبي رفض التوقيع على فصلي

■ لكن المعروف أنك فصلت نهائيا من الكلية؟

– سآتيك بالحديث، بعد فترة اختفاء ظهرت مرة أخرى لأواصل العمل كعضو مكتب سياسي في الحزب، وفي عام ١٩٥٦ عدت ثانية إلى الكلية، وحدث خلال ذلك العام العدوان الثلاثي على مصر، وفي إحدى التظاهرات ألقيت كلمة باسم الشبيبة الكردستانية تضامناً مع مصر، وعلى ضوئها تم تقديمي إلى محكمة انضباطية داخل الكلية ليتم فصلي نهائيا منها، واذكر أن الوحيد من بين الأساتذة الذي رفض التوقيع على فصلي هو الأستاذ حسن الجلبي الأخ الأكبر للدكتور أحمد الجلبي الذي يشغل حالياً منصب رئيس جامعة في بيروت، أضطررت بعدها للإختفاء، وبقيت أعمل داخل صفوف الحزب مسؤولاً عن الطباعة في الإقليم متنقلاً ما بين محافظتي كركوك والسليمانية وبقيت هكذا حتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨.

عضو نقابة الصحفيين التي ترأسها الجواهري

■ كيف كانت ردود أفعال الشعب الكردي إزاء قيام الثورة؟

– أنا كنت حينها ضمن قيادة التظاهرات التي قام بها أبناء السليمانية المؤيدون للثورة من يومها الأول، وتوجهنا بالتظاهرة نحو المحمية العسكرية وقمنا بتطويقها وطالبناهم باعلان الولاء للجمهورية الجديدة، وبالفعل نفذوا المطالب، بعدها توجهت إلى كركوك للانضمام إلى اجتماع اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني، وتمخض عنه اصدار بيانه المشهور الذي أعلن تأييده للثورة، بعدها توجهنا إلى بغداد واصدرنا أول مجلة في العهد الجمهوري اسمها رزكاري، وحصلنا على إجازة لإصدار جريدة (خبات) باسم الأستاذ ابراهيم أحمد، وأصبحت صحفياً فيها، وقمنا بالاشتراك في المؤتمر الأول لنقابة الصحفيين العراقيين، وانتخبت عضوا في الهيئة الإدارية لتلك النقابة، التي انتخب الجواهري رئيساً لها، وواصلت عملي الصحفي لحين اغلاق جريدة خبات، بعدها أصدرنا جريدة كردستان وكنت رئيس تحريرها، لكنها أيضاً أغلقت بعد أن ساءت العلاقة بين الحزب والمرحوم عبد الكريم قاسم، بعدها صدر أمر القاء القبض علي، لذا اضطررت للاختفاء وتوجهت نحو كردستان لنبدأ التحضيرات الأولى لثورة أيلول عام ١٩٦١.

قائد الجبهة الجنوبية للأنصار

■ ماذا كان الدور المنوط بكم في تلك الثورة؟

– حين أعلنت قيادة الحزب البدء بالعمل المسلح، باشرت أنا في تشكيل الوحدات، وكانت البداية بـ(١٤) شخصاً فقط ولكن تدريجياً تصاعد هذا العدد إلى المئات، وكلفت حينها بقيادة المنطقة الجنوبية للانصار أي محافظتي السليمانية وكركوك بأمر من الحزب، وقمنا في عام ١٩٦٢ بعملية عسكرية كبيرة استطعنا خلالها تحرير منطقة شاربازار باستثناء منطقة جوارته، وحصلنا من خلالها على المئات من القطع العسكرية، ثم توجهنا نحو بنجوين وسيطرنا على المدينة كاملة. وبعد حدوث انقلاب شباط عام ١٩٦٣، توسعت الثورة بعد أن وفد الآلاف من الناس هرباً من الطغيان البعثي.

■ ولكن المعروف عنكم أنكم أنتم من قاد وفد المفاوضات مع النظام الجديد؟

– نعم في نفس عام الانقلاب تم اختياري رئيساً للوفد الكردي المفاوض لحكومة بغداد، وأثناء تواجدي هناك لإجراء المفاوضات سافرت مع الوفد العراقي لزيارة القاهرة والجزائر، حيث التقينا هناك الرئيس عبد الناصر وشرحنا له، اسباب الثورة الكردية وأهدافها ورسمنا له الصورة الواضحة عن القضية الكردية.

عبد الناصر أبدى أسفه لمقتل الزعيم قاسم

■ كيف كانت ردة فعل عبد الناصر حينها؟

– الحقيقة تمكن الوفد الكردي من كسب تعاطف عبد الناصر، لأنه وجد مطالبنا واقعية ومعقولة وليس فيها أي نوع من التطرف. وهنا سأروي لكم حقيقة ما جرى في اللقاء، فحين استقبل عبد الناصر الوفد العراقي الذي ترأسه المرحوم علي صالح السعدي والذي ضم بعثيين آخرين، وبعد الترحيب بالوفد أبدى اسفه على قتل الناس، وأذكر أنه قال: أنا متألم جداً على قتل الزعيم عبد الكريم قاسم، وقال كان من المفترض أن تبعثوه إلينا حياً ليقيم في القاهرة، وكذلك أبدى أسفه على قتل الشيوعيين، وقال موجهاً كلامه للوفد، ان مسألة قتلهم تسيء لكم وللقضية العربية، وطالب الوفد بوقف عمليات القتل فوراً ووصفها بالظاهرة الخطرة، بعدها توجهنا إلى الجزائر والتقينا رئيسها أحمد بن بلا، الذي كان صريحاً وواضحاً بشأن القضية الكردية، وقال حينها للوفد، وافقوا على الحكم الذاتي اليوم وإلا سوف يأتي يوم لا يرضى الأكراد به، وضرب لهم مثلاً بقوله، نحن في الجزائر طلبنا في البداية الحكم الذاتي من فرنسا ولكنها رفضت، ولكننا الآن طالبنا بالاستقلال وحصلنا عليه، ونصح الوفد بمنح الأكراد الحكم الذاتي، بعدها عدنا إلى القاهرة والتقينا عبد الناصر الذي جدد دعمه لمطلب الحكم الذاتي، وطلب منا عدم استئناف القتال لأنه قد يؤدي إلى تدخل إيران في الشأن العراقي.

المفاوضات مع البعثيين غير مجدية

■ ماذا تحقق بعد عودتكم إلى بغداد؟

– بعد عودتنا إلى بغداد، توجه الوفد العراقي إلى كردستان لغرض التفاوض لكننا لم نصل إلى نتيجة، بعدها عقد مؤتمر شعبي في كويسنجق لانتخاب وفد كردي لمفاوضة الحكومة، وتم انتخابي رئيساً لذلك الوفد، وتوجهنا إلى بغداد واجرينا مفاوضات طويلة مع الحكومة العراقية، ولكن لم نحقق أي شيء بعد تراجع البعثيين عن وعودهم لنا قبل وصولهم للحكم، والتي تتمحور حول اعطاء الكرد الحق في الحكم الذاتي.

مؤتمر القاهرة

■ ما هو موقفكم من مؤتمر القاهرة الذي نوقش فيه موضوع الوحدة الثلاثية بين العراق ومصر وسوريا؟

– في ذلك المؤتمر قمنا بارسال رسالة واضحة قلنا فيها نحن لا نعارض الوحدة العربية بل نؤيدها، ولكن أوضحنا في الرسالة أن الوحدة إذا ما حدثت بشكل اندماجي بين البلدان الثلاثة، فمن حقنا أن يكون هناك إقليم خاص بكردستان إضافة لاقاليم مصر وسوريا والعراق، وإذا ما كانت الوحدة الثلاثية على شكل اتحاد فيدرالي فالأكراد لهم الحق بالمطالبة في الحكم الذاتي. وبعد أن وصلت المفاوضات مع بغداد إلى طريق مسدود، توجهت أنا للقاهرة من جديد والتقيت مرة أخرى الرئيس عبد الناصر وقلت له أن البعثيين غير جادين بالمفاوضات وغير مكترثين لمطالبنا، فرد قائلاً، أنا أفهم وأعلم ذلك، لكن ما أطلبه منكم أن لا تبدؤوا أنتم القتال، وطلب مني أن اعقد مؤتمراً صحفياً في بيروت أبين فيه، أن الكرد ليسوا انفصاليين، وليسوا ضد الأمة العربية وحركتها القومية، ومطالبهم تنحصر بحقهم في الحصول على الحكم الذاتي ضمن العراق الموحد، ويؤمنون بالتعايش السلمي وهم ضد القتال، وبالفعل وبمساعدة الأخوة الناصريين الذين كان لهم حضور فعال في بيروت عقد المؤتمر الصحفي، وأتذكر أن المرحوم عبد الناصر نصحني بعدم العودة إلى بغداد لمعرفته بأنه سيتم اعتقالي. وفعلاً بعد المؤتمر الصحفي عاد الوفد الذي كان معي إلى بغداد وتم اعتقاله بالفعل، أما أنا توجهت إلى أوروبا متجولاً ما بين عواصمها، وخلال تلك الجولات بينت لمسؤولي تلك الدول مطالب الأكراد وحقهم في الحكم الذاتي والأمور المهمة التي تتعلق بالقضية الكردية، عدت بعد ذلك إلى كردستان لنواصل القتال، بعدها بدأت

بعد أن تم انتخابي عضواً في المكتب السياسي عام ١٩٥٤، ساهمنا كحزب في جمع الأحزاب التي كانت تسمى بالأحزاب الشيوعية والماركسية، وهي الحزب الشيوعي العراقي القاعدة، الحزب الشيوعي العراقي الشغيلة، وحزب اتحاد الشيوعيين العراقيين الذي كان يترأسه المرحوم عزيز شريف، وحزبنا الذي كان حينها يتبنى الماركسية أيضاً، وكانت هذه هي بداية توحيد الحركة الشيوعية في العراق